مكابدات بوذا.....
وانطفاءات النيرفانا

(تباركت يا محرك العقل البشري.. يا من بيده مصائر الهند ، المجد المجد المجد لـك) تلـك بدايـة ونهايـة النشـيد الـوطني للهنـد والـذي كتبـه شـاعرها العظـيم (طاغور)/1/.

والهند اسم مشتق من السند ذلك النهر الجبار الذي يجري فيها بطول ألف ميل. و(سندو) في الهندية معناها (النهر) وقد حور الفرس كلمة (سندو) إلى (هندو) حيث أن حرف (س) في السنسكريتية يقابلها حرف (هـ) في الفارسية مثل (سوما = هوما = شراب مقدس) وأطلقوا كلمة (هندو) على الهند الشمالية كلها (و هندوستان ـ بلاد الأنهار) ومن الكلمة الفارسية (هندو) نحت الإغريق الغزاة كلمة (هند) والتي ما زالت باقية حتى اليوم /2/.

والهند(لغ) رقعة فسيفسائية غير متجانسة مناخاً وطبيعةً وسكاناً ولاهوتاً وحتى

---

(1) مساحة الهند تعادل حوالي مليوني ميل مربع /3.287.263/ كم2 وهي أكبر من بريطانيا التي كانت صاحبة السيادة عليها بحوالي عشرين مرة. يخترقها مدار السرطان. وفيها جبال

epeikandl.com

لغة. فشعوبها ليست أمة واحدة لكنها تعيش وتتعايش في مجتمع واحد هو مثال عالمي على الديمقراطية، إذ يوجد فيها أكثر من ثلاثة ملايين طائفة /3/ ويدين بـ الهندوسية[لخ] أغلب سكانها. و(الهندوسية) كالإسفنجة تمتص كل ما يدخل إليها من دون أن تغير شكلها فهي قادرة على الامتصاص والهضم والتمثل (كاللغة الإنكليزية حيث يعرفونها بأنها مجموعة لغات) فكل ما يدخل إليها وتقبله مجتمعاتها سرعان ما يصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها ولعل هذه المرونة هي سر بقائها /4/ (و الهندوسية) من أقدم الديانات العالمية بل هي أقدم الأديان التي يمارسها أهل الأرض حتى الآن. و(الهندوس) يعبدون النار ظناً منهم بأن أحد الكهنة قد أحضرها من السماء إلى الأرض (يذكرنا ذلك بسرقة بروميثيوس النار من الآلهة) ولهذا فعلى عابدي النار أن يرسلوا القرابين إلى السماء. و(إيمان البرهمي)[بن] بتقديم القرابين نابع من كون القربان هو الشيء الوحيد الذي يجعل صلة الوصل بينه وبين براهما قريبة. فالقربان حنين للعودة إلى الاندماج في جسم البداية الأولى /5/ وتقديسهم للبقرة جاء عن طريق رواسب طوطمية ففي المهابهارتا (ملحمة هندية طويلة تحكي غزو الهند وهي مرشد للحياة في أبعادها كافة) نجد أن (الهندوسي) يمسك بذيلها قبل وفاته أملاً بدخول الجنة بعد الموت ومن يقتلها قديماً فإن مصيره جهنم

(هيمافات ـ هيملايا) حيث (أفرست) أعلى قمة في العالم وعدد سكانها /903.000.000/ نسمة انظر أطلس الوطن العربي والعالم ص /208/ ويحتمل اشتقاق اسم الهند من اسم الإله (إندرا). مقارنة بين الأديان (د. أحمد شبلي ص /21/) وفيها نحو /240/ لغة و/300/ لهجة مما مهد الطريق للغة الإنكليزية لتكون لغة عامة بجوار هذه اللغات المحلية. (المصدر نفسه ص/27/). وبعد التقسيم اتخذ الدستور الهندي اللغة الهندية لغة رسمية للبلاد وهي لغة قامت على أنقاض السنسكريتية.

(1) عندهم أقانيم ثلاثة (براهما يخلق ـ فشنو يحفظ ـ شيفا يهلك) ومثل هذه الأقانيم نجدها عند المصريين (أزوريس ـ إيزيس ـ حورس) وعند أهل صور (عشتار ـ أدونيس ـ ملكرت).

(2) البراهمة ليسوا نسبة إلى إبراهيم (ع) بل نسبة إلى كاهن يقال له (برهم) حيث عهد لهم نفي النبوات.. والبراهمة عماد الهندوسية وقد عنفهم بوذا قائلاً لهم: (ما نفع نظافة ثيابكم وتجديل شعوركم؟ أنتم لا تطهرون سوى مظهركم ووجهكم نجس). انظر كتاب الملل والنحل. للشهرستاني ج/2/ مطبعة الأهرام /1270/ ط/1/.

وبئس القرار ومن يقتلها حالياً يعاقب بالإعدام[لخ].

وإذا أردنا فهم أقدم تفكير هندي علينا أن نتجه إلى أسفار (الفيدا ـ المعرفة)[بر] فالهند لها من العقائد الدينية ما يمثل كل مراحل العقيدة في الطوطمية وعبادة الثعبان. مروراً بالوثنية والبربرية إلى أدق عقيدة في وحدة الوجود روحانية. ولها من الفلاسفة من عزفوا على وتر التوحيد من أسفار (اليويانيشاد) في القرن 8 ق.م إلى (شانكارا) في القرن 8 ب.م ./6/ (اليوبانيشاد = يوبا ـ بالقرب/ ونشاد = يجلس/ ـ أي يجلس قرب المعلم) و(شانكار) من أبرز المعقبين على الفيدا.

فعلى صعيد وحدة الوجود

---

(1) (غاندي) فضل البقرة على أمه لأن أمه ترضعه عامين مقابل خدمات أما البقرة فتعطيه الحليب طيلة عمرها ولا تطلب منه شيئاً حتى ولو مرضت. ويعتبر الهندوسي (الفيدا) كتاباً مقدساً نزل بوحي من الآلهة.

(2) يقابلها في اللاتينية (فيديو) ومنها أخذ اسم الجهاز الحديث (فيديو) ويعتبر الهندوسي (الفيدا) مقدسة نزلت بوحي من الآلهة وهي أربعة أسفار.

(1) سفر (رج فيدا) ـ المعرفة الملكية ـ معرفة الترانيم والثناء وهو أقدمها وينتمي إلى الأدب. وهو مكون من مقطعات شعرية مرفوعة إلى إله أو أكثر.

(2) سفر (ساما) ـ معرفة الأنغام 3 ـ سفر (ياجور) ـ الصيغ الخاصة بالقرابين للآلهة 4 ـ سفر (أتارفا)ـ معرفة الرقى السحرية وكل واحد من هذه الفيدات يقسم إلى أربعة أقسام:

1. مانترا ـ الترانيم.
2. براهما ـ قواعد الطقوس والدعاء والرقى لهداية الكهنة في مهنتهم.
3. أرانيكا ـ نصوص الغابة ـ خاصة بالقدسيين والرهبان.
4. يوبانيشاد ـ المهارات السحرية. مخصص إلى الفلاسفة.

وقد مرت الهند بـ /4/ مراحل:

- المرحلة الفيدية /1500/ ق.م حتى /700/ ق.م.
- المرحلة الثانية /800/ ق. م حتى /200/ ق. م.
- مرحلة السوترا /400/ ق.م حتى /500/ ب.م شرح المتون /400/ ب.م حتى /1700/ ب.م.
- مرحلة النهضة منذ عام /1800/ ب. م.

نرى بعض أسفار (يوبانيشاد) تعزي خلق العالم إلى خالق أول قهار. يقول السفر: (حقا إنه لم يشعر بالسرور، فواحد وحده لا يشعر بالسرور فطلب ثانياً.. كان في الحق كبير الحجم حتى ليعدل جسمه رجلاً وامراة تعانقا ثم شاء لهذه الذات الواحدة أن تنشق نصفين. فنشأ من ثم زوج وزوجة فضاجع زوجته وبهذا أنسل البشر[لخ]. سألت نفسها الزوجة قائلة كيف استطاع مضاجعتي بعد أن أخرجني من نفسه؟ فلأختف. واختفت في صورة البقرة فانقلب هو ثوراً. فزاوجها ومن زواجهما ولدت الماشية، فاتخذت لنفسها هيئة الفرس واتخذ لنفسه هئية الجواد ثم صارت حمارة فصار حماراً وصارت عنزة فصار كبشاً حتى بلغ في التدرج أسفله إلى حيث النمال، وقد أدرك هو حقيقة الأمر فقال: حقا إني أنا هذا في الخلق لأني أخرجته من نفسي. ومن هنا نشأ الخلق /7/ ألا نلمس في ذلك بذرة مذهب وحدة الوجود وتناسخ الأرواح وأن الخالق وخلقه شيء واحد؟ كما آمنوا بالخلود الشخصي فالروح بعد الموت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. فإما أن يلقيها (فارونا ـ حارس القانون الأخلاقي ومنقذه): في هوة سحيقة أو في سعير جهنم، وإما أن يتلقاها (ياما) ـ أبو البشر وحاكم العالم السفلي) ويرميها إلى جنة النعيم حيث هناك كل صنوف اللذائذ إلى أبد الآبدين /8/.

وبما أن المثنويات موغلة في القدم فإننا نرى في أحد أسفار (اليوبانيشاد) أيضاً نقيضاً لذلك حيث نجد فريقاً من العدميين الماديين كانوا يسخرون من الكهنة ويشبهون رجال الدين المتشددين في تمسكهم بالعقيدة آنذاك بموكب من الكلاب أمسك كل منهم بذيل سابقه، كما نجد تصريحاً بأنه ليس هناك جنة ولا نار ولا تناسخ ولا عالم آخر، وكان أتباع مدرسة (شارفاكا) يضحكون من سخف الرأي القائل: (إن أسفار الفيدا قد احتوت على الحق كما أوصى به الله) وقال فريق من

---

(1) (ياما) أول إنسان مات فصار إله الموتى وحاكمهم على أفعالهم. انظر كتاب الأديان الحية. أديب صعب ص/31/. و(ياما) أبو البشر. ويشبه أزوريس عند المصريين القدماء و(يامي) أم البشر ويقال: أنهما أخوان وقد أغوت (يامي) أخاها (ياما) بمضاجعتها على الرغم من تحريم الاتصال الجنسي بين أفراد الأسرة الواحدة زاعمة أن كل ما تريده هو استمرار الجنس البشري وهذا يذكرنا بما ادعته التوراة من زنى لوط بإبنتيه. انظر سفر التكوين. إصحاح/9/ فقرة/20 حتى 27/.

هذه المدرسة: (إن ما لا تدركه الحواس ليس له وجود، وما الروح سوى وهم من الأوهام والآلهة أبطولة من الأباطيل والمادة وحدها هي الحقيقة التي لا حقيقة سواها)(لخ) وما العقل إلا مادة تفكر والجسم ـ لا الروح ـ هو الذي يشعر ويسمع ويفكر(بر) فمن ذا الذي رأى روحاً موجودة مستقلة عن الجسم؟. وأن الطبيعة لا تأبه لخير أو لشر، لفضيلة أو لرذيلة فهي تشرق بشمسها على الأوغاد والقديسين، وغاية الحياة والحكمة هي أن تعيش سعيداً /9/(تر) كما كان فيها نظام فارنا- نظام الطبقات وكلمة (**فارنا = اللون**) أي أن هذا النظام يقوم على اختلاف اللون.

- ❖ **براهما** ـ الطبقة العليا ـ الكهنة والقديسون والحكماء(بر) يختارون أسماء لأطفالهم تدل على البهجة والسرور.
- ❖ **الكشاتريا** ـ المحاربون والحكام. يختارون أسماء أطفالهم ما يدل على القوة والشجاعة.
- ❖ **القايشبا** ـ المزارعون والصناع ـ المنتجون. يختارون أسماء لأطفالهم تدل على الغنى والثروة.

---

(1) نجد سبقاً للفيلسوف اليوناني (بروتاغوراس) الذي قال: (إن الإنسان مقياس كل شيء). كما نجد أيضاً سبقاً للفلسفة المادية. فـ (نيتشه) أعلن عن موت الإله و(سارتر) قال إن الله غير موجود... الخ.

(2) روي عن أحد المؤلفين مؤخراً أن الجسد هو ألم لأنه مكان الألم والشعور موضوعاته الإحساس وهي معاناة لأنها توصل إلى الألم. والسرور بحد ذاته معاناة لأنه متبوع بألم. انظر كتاب. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ميرسيا ايلياد. ص/48 -49/.

(3) كان القدماء المصريون يعتقدون أن في كل جسم (كا) و(با) فـ (الكا) هي الجزء الأثيري في الجسم تلازم الجسد في المقبرة متى فني الجسد و(البا) تمثل الجزء الحي الذي يترك الجسد عند الوفاة محلقاً إلى الآلهة لا تمكث طويلا في السماء بل ينتابها الحنين بين لحظة وأخرى إلى ذلك الجسد فتهبط وتلتصق به، لذلك جعلوا لكل قبر كوة.

(4) يقولون إن (البراهمة رأس الفكر) و(الكشاتريا ـ ذراعان) و(القايشيا ـ فخذان) و(السودرا ـ قدمان).

❖ **السودرا** ـ طبقة أضيفت فيما بعد تشمل الخدم والصناع ـ يختارون أسماء لأطفالهم تدل على الذل والمهانة.

وقد جاء في شريعة مانو ما يلي[لخ]: (أراد الموتى تكاثر الجنس البشري فخلق من فمه البراهمة ومن ذراعه الكشاتريا ومن فخذه القايشبا ومن قدمه السودرا /10/. أما على الصعيد الاجتماعي فقد كانت الفتاة تتزوج بأكثر من رجل في وقت واحد حيث تحدثنا قصة (دوربادي) عن فتاة تزوجت إخوة خمسة دفعة واحدة /11/.

مرحلة ما قبل البوذية لقد سبقت البوذية بقليل ثم تزامنت معها الجانتية[بر]. في منتصف القرن السادس ق.م كان هناك أبوان يعتقدان أن العودة إلى الحياة لعنة لمن يعود ولما بلغ ابنهما عامه الواحد والثلاثين أزهقا رَوْحَيْهما بجوع متعمد. وبقي ابنهما بعدها ثلاثة عشر عاماً متقشفاً ينكر ذاته. فأعلنت جماعة من أتباعه أنه (جنا ـ القاهر) واختاروا له اسماً جديداً هو (ماهافيرا = البطل العظيم).

ولد (ماهافيرا) عام /559/ ق. م وتوفي عام /527/ ق.م ونظم طائفة من رجاله رهباناً عزباً وراهبات، وتوفي عن عمر يناهز السبعين عاماً. وصف أتباعه المعرفة[تر] بأنها تتجاوز حدود النسبية التي تقع في الزمان. (سبق لإنيشتاين في النسبية) وليس ثمة حق إلا من وجهة نظر معينة. أفرغ الجانتيون السماء من ألهتها وعَمَرُوها بطائفة من القديسين المؤلّهين وعبدوهم. كانوا يسمحون للأطفال باعتناق الجانتية وهم في سن الثامنة شريطة أن يكونوا أصحاء الأبدان غير عليلين (يذكرنا ذلك بتركيز أفلاطون في الجمهورية على أصحاء الأبدان ومن بعده (نتيشه). اعتقد الجانتيون أن الطريقة المؤدية إلى الخلاص هي توبة متقشفة وتمسك بـ (أهمسا = عدم إيذاء أي كائن حي).

---

(1) وجد في /200/ ق. م.

(2) يقولون إن (البراهمة رأس الفكر) و(الكشاتريا ـ ذراعان) و(القايشبا ـ فخان) و(السودرا ـ قدمان)

(3) يرى (أفلاطون) أن الفضيلة والمعرفة شيء واحد.

غاندي الذي ولد عام /1869/ تأثر بالجانتية وقد امتدت زعامته على الهند من /1920/ حتى /1948/ واصطنع (اهمسا) أي عدم إيذاء الكائنات الحية وقد بلغ مرحلة (المهاتما ـ الروح الأعظم) مع انه ولد من فرقة (و يش) وكان لا بد له من ان يتناسخ مرات حتى يرتقي إلى فرنة) ثم يتابع حتى فرقة (البرهميين) ثم يبلغ الكمال. انظر كتاب (منوسمرتى) ص/48/.

وعلى كل متقشف أن يأخذ على نفسه عهوداً خمسة. (لا يقتل/لا يكذب/ لا يسرق/لا يزني ـ يصون عفته/ يتجنب الملذات والشهوات).

ـ يصفي الجانتي الماء قبل شربه خشية أن يقتل ما هو كائن فيه.

ـ يغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء ما هو حي فيقتله.

ـ يمنع من الخروج من البيت بعد غروب الشمس حتى لا يدوس الحيوانات الصغيرة التي لا يراها. وإذا خرج فعليه أن يحيط مصباحه بحاجز ليقي الحشرات لدغ النار.

ـ يكنس الأرض أمامه حتى لا تدوس قدماه كائناً حياً فيميته.

ـ الزراعة عنده حرام لأنها تشق التربة وتسحق الحشرات.

ـ أكل العسل عنده حرام لأنه طعام النحل (ويذكرنا بـ كونفوشيوس الذي لا يلبس الحرير لأن دود القز أولى به).

ـ لا يذبح الحيوانات بل عليه أن يقيم لها المصحات والمستشفيات لعلاجها وصونها في هرمها (من أوائل الدعوات إلى الرفق بالحيوان).

ـ لا يجوز له أن يزهق سوى حياته فقط لأن الانتحار في الجانتية ميزة ينعم بها البشر(لخ).

مدخل إلى البوذية: العظماء **فئتان**: فئة تجيء إلى هذا العالم كالمرايا العاكسة تعكس أحوال زمانها من غير أن تتدخل فيها.

وفئة: زودت غلبة على الزمان بحيث تدخلت في مسيرة شعبها فوجهت دفة مسيره للوصول به إلى المبتغى والمرتجى، وما بوذا(بر) إلا واحد من أولئك العظماء الذين

---

(1) رفض شوبنهور فكرة الانتحار لأن الانتحار في رأيه ليس حلاً لأنه شاهد على عدم وجود إرادة الحياة ويؤكد على نقيضها. على الرغم من أنه فيلسوف متشائم.

(2) (بوذا = المستنير) ويقال: إن روحه تقمصت ـ من مبدأ التناسخ ـ روح أحد الآلهة - انظر كتاب عالم الأديان. فوزي محمد حميد ص /197/ وله أكثر من اسم (جوتاما) ـ (سنيدارتا) (سدهارتا) (بوذاداهما ـ الحقيقة الخالدة للواحد المتيقظ) (التاتاجانا ـ من معانيها المنقذ المنتظر) لقب ـ بـ (السكيموني) وأفضل اسم له هو (المستنير) لكنه ليس اسماً شخصياً.

خلدهم التاريخ لأن مسيرة الشعوب لا تتطور إلا بفضل عبقريات فذة[1]. والعظماء كثيراً ما تكون ولادتهم يوم وفاتهم. وبما أن الهنود يعتقدون ان المرء يولد ولادة ثانية يوم يغدو مثقفاً، فإن (بوذا) بالقياس إلى ذلك يكون قد ولد أربع ولادات (يوم خرج من رحم أمه / ويوم غدا مثقفاً / ويوم قدم للعالم عصارة مكابداته / ويوم توارى جسداً ليشرق في الأذهان عقيدة وفكراً).

بوذا في التراث الهندي: يسجل التاريخ البوذي أسماء لا تقل عن أربعة وعشرين بوذا سبقوا بوذا والذي هو موضوع حديثنا. حيث يصور التراث الهندي أن (بوذا) يظهر من وقت لآخر طوال التاريخ البشري، وسوف يواصل الظهور كلما فقد الناس معرفة (الداهما = القانون الأخلاقي = الحقيقة الكاملة) /12/ إذ يظهر كل حوالي خمسة آلاف سنة تقريبا. وينعتونه بـ (المنقذ المخلص المنتظر). حيث أن(سري كريشنا) تجسد في الإله (فشنو) وقد تمثل في شكل حوت لينقذ (مانو عند الهنود = نوح عندنا) .

و يتجسد دائماً عندما يختل ميزان العدالة فيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً. ويظهر أن لكل شعب منقذه المنتظر أيام شدته حتى أن اليهود ينتظرون (مسيحاً) يكون منهم يخلصهم من شقائهم كما يعتقدون بعد أن تفرقوا في الشَتاتْ.

ولادة بوذا

ولد بوذا المنتظر (المستنير) من أمه (مايا)[2] التي توفيت بعد سبعة أيام من ولادته /13/ أو فور ولادته كما يقول (ول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة ولد عام /563/ وتوفى عام /428/ق. م وعمره ثمانون عاماً. وتحدثا الكتب عن معجزات وخوارق ظهرت أثناء حمل أمه به ويوم ولادته ويوم وفاته وحتى بعد وفاته أيضاً. فأثناء حمل أمه به رأت منامات كثيرة من جملة ما رأت أن اللّه دخل في أحشائها بشكل

---

(1) يقول (شوبنهور) الطبيعة لا تمنح العبقرية إلا للقليل من الناس لأن العبقرية تعوق سير الحياة العادية.

(2) أو (مايا ذي) ولشدة جمالها الآسر سميت (مايا) أي (كأنها الوهم) ومعنى الكلمة حرفياً (مفهوم الوهم ولا واقعية العالم).

فيل(لخ).

وقد ولد نظيفاً من الدم وغيره وهبَّ واقفاً وتكلم وقد ولدته أمه من خاصرتها اليسرى. كما أقامت عليه ملائكة السماء حفلاً سماوياً ابتهاجاً بقدومه، وعندما رأى الزاهد الراهب (أستيا) ذلك الحفل هرع إلى الأمير والد (بوذا) طالباً منه رؤية الطفل فقال له الأب: (إنه نائم) أجاب (أستيا) أيها الأمير أمثال هؤلاء الكائنات العظيمة لا تنام طويلاً إنها متيقظة بطبيعتها.

حمل (أستيا) الطفل ثم بكى فسأله الأمير عن سبب بكائه أجاب (أستيا): إن هذا الطفل سوف يصل إلى درجة (التنوير السَامِيَة) وأنه سوف ينتصر بالمحبة لا بقوة السيف وأبكي لأن العمر لن يمتد بي لأصبح تلميذاً لهذا البوذا العظيم يذكرنا بموقف /14/(يز) والده الأمير (سودهدانا)(تر) من أبناء عشيرة (جوتاما). أحاط الأب ابنه منذ صغره بكل وسائل الراحة وأقصى درجات الرفاهية.

حياة بوذا منذ طفولته: بنى له أبوه قصوراً تتناسب وسائر الفصول. لباسه من سندس خضر وإستبرق. وشميمه طيب وعنبر وشرابه عسل مصفى وطعامه ما لذ وطاب. يطاف عليه بالمأكول والمشروب بآنية من ذهب وفضة يحيط به الخدم

---

(1) ويقال إنه ولد من عذراء كما ولد المسيح. انظر كتاب الأديان الحية. أديب صعب ص/57 - 58/ وفي بحث لي بعنوان (سيكولوجية الحلم في ملحمة جلجامش) رأيت أن الحلم ليس استشرافاً مستقبلياً كما يتوقع الكثيرون بل هو في أغلب الأحيان معاناة مسبقة يعيشها المرء أو يتخيلها أو يتوقع حصولها وتظهر له في الحلم حين تنفلت خافيته من عقالها لحظة لا رقيب عليها وأحلام (جلجامش) كانت مشابهة للحدث الذي ينتظره في الأسطورة حتى أن سورة (يوسف) (ع) في القرآن الكريم. أنه عندما (رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر....) كان يدرك قبل رؤيته هذا المنام حسد أخوته له.

(2) يذكرنا ذلك بالمجوس الذين جاءوا إلى أورشليم أيام (هيرودوتس) حيث رأوا في السماء نجماً فعرفوا أن السيد المسيح قد ولد وقد جاءوا إليه فسجدوا له. انظر انجيل متى إصحاح /2/ فقرة /1 -2/ كما يذكرنا بكاؤه كونه سيموت قبل استنارة بوذا بما حصل مع الراهب (بحيره) في عهد الرسول محمد (ص).

(3) أيضا له أكثر من اسم حسب الترجمة (شدذوذانا ـ سوذودانا.. الخ).

والجواري والراقصات من كل الجهات. فصبحه لا أحلى ولا أروع ومساه لا أرق ولا أبدع، وكأنه في جنة استنزلها له أبوه إلى العالم الأرضي بحيث غدا أمامه المستحيل ممكناً والحلم حقيقة يتنعم بها (بوذا) حتى الثمالة عن طريق حواسه الخمس (كاما = التلذذ عن طريق الحواس الخمس). حال أبوه بينه وبين كل منظر يجرح مشاعره ويسبب له الألم أو يؤثر في نفسه سلباً وبخاصة عندما سمع من الراهب (أستيا) أن ابنه سيصبح (بوذا) المستنير. إلا أن (بوذا) لم يكن هذا النعيم الذي يحيط به هو شغله الشاغل أو حتى شيئاً يشغل باله، بل كان يخطر إلى ذهنه تساؤل مفاده: ترى.. ألا يمكن أن يكون العالم الخارجي غير الذي يراه؟ وظل (بوذا) ينعم بهذا الفردوس الأرضي قرابة ثلاثين عاماً.

إرهاصات مكابدات بوذا

ذات يوم عندما كان يقوم برحلة خارج القصر ـ على الرغم من أن أباه كان يخلي له الطريق قبل خروجه رأى بالصدفة عجوزاً فسأل سائق عربته (تشنا)[لخ] عن ذلك فأجابه: إنه رجل عجوز. لم يفهم (بوذا) ما معنى كلمة عجوز[بر] لأن هذا المشهد لم ير له مثيلاً من قبل فأعاد السؤال على (تشنا) مستفسراً عن معنى كلمة عجوز. ولما عرف معناها سأله قائلاً: وهل نحن معرضون للشيخوخة يا (تشنا)؟ أجابه: نعم يا مولاي. قدرنا جميعاً أن نكبر ونهرم فالعالم مليء بالمسنّين الهرمين. عاد (بوذا) إلى القصر وصورة ذلك العجوز لا تفارق مخيلته.

وفي رحلة ثانية شاهد مريضاً فأعاد الأسئلة نفسها على (تشنا). وعندما أجابه (تشنا) عن الرجل ثم عن معنى كلمة مريض سأله: وهل نحن معرضون للمرض؟ أجابه (تشنا): نعم يا مولاي. كلنا معرضون للمرض فالعالم مليء بالمرضى المعذبين.

---

(1) يقال أيضا (شنا أو شونا).

(2) يظهر أن أباه كان يطرد من قصره الشيوخ أو يقيل خدامه بعد بلوغهم الأربعين عاماً. لكن السؤال الغريب حول شخصية (تشنا) هل هو مقارب لعمر (بوذا) أم أكبر منه بكثير فإذا كان مقارباً لعمره فمن أين له بكل هذه المعلومات وإذا كان أكبر بكثير فإن (بوذا) يرى العجز أمامه من خلاله أي من خلال (تشنا).

obeikandi.com

لم يطرح تساؤلاته أو يعرض معاناته ومكابداته على أحد وأخفى كل ذلك حتى عن أبيه وزوجه.

ثم خرج في رحلة ثالثة فرأى ميتاً. ولما استفسر عن الرجل ثم عن معنى الموت سأل (تشنا) وهل نحن معرضون للموت؟ أجابه نعم يا مولاي كلنا ميتون.. قدرنا أن نموت ونفنى فالموت لا يدع على الأرض حياً لأنه ضريبة الولادة. عاد إلى القصر هذه المرة وقد بلغ به الحزن غاية مداه. فالموت كما يقول (لوكريش) في كتاب قصة الحضارة لـ (ول ديورانت) أصل الديانات كلها وهو قدر حتمي يدركه المرء فور اكتمال مداركه ومع ذلك فهو يعاني من هذه الحتمية. فتراه دائب التفكير دائم السعي بحثاً عن شجرة الخلد وملك لا يبلى (جلجاميشيّ) النزعة، ولو قدر له هذا الخلود الذي يسعى إليه مستميتاً سعياً عبثياً دونكيشوتياً فلسوف يتوسل إلى ملك الموت ليهبه الموت عندما يهن العظم منه ويشتعل رأسه شيباً ويبلغ من الكبر عتياً. ثم قام برحلة رابعة وأخيرة فشاهد رجلاً حليقاً (شرمانياً = أي رجل دين يتجول) يلبس رداء أصفر فسأله (بوذا) عن ذلك الرجل فأجابه (تشنا) إنه يمضي قدماً. لم يفهم (بوذا) ما معنى كلمة (تشنا) وبعد استفساره عن معنى الكلمة: عرف أنه واحد من (البهخوس = راهب متجول ضيلع في الحياة الدينية)/15/.

عاد (بوذا) إلى القصر وكأنه في حالة غيبوبة. لم يأبه حتى للموسيقى المنبعثة من القصر فرحاً بولادة ابنه (راهولا) فالأسئلة بدأت تقض مضجعه وتهز (أعمق أعماقه). لماذا يولد الإنسان؟ أوُلِدَ ليعاني المرض وتعبث به يد الشيخوخة ثم يطويه شبح الموت؟!! من أنا؟ كيف علي أن أحيا؟!! وهذان السؤالان وحدهما جوهر الفلسفة. ألم يعرف (كانط) الفلسفة. بأنها (علم الأنا حيال اللا أنا)؟ بدأ بمحاولة كشف سر هذا الموت العصي على الفهم. شعر بالرغبة في المعرفة. والرغبة حاجة. والحاجة فراغ. والفراغ حنين إلى الملء. وبعد سجال طويل مع الذات، قرر هجر الملذات والشهوات والرغبات لعله يدرك كنه سر المعاناة والمكابدات. وأدرك أن مفتاح السر لا يوجد داخل القصر بل خارجه حيث يرى الناس على حقيقتهم. دخل غرفته في هزيع الليل ليودع طفله الصغير بنظرة أخيرة، فقد خشي أن يكون هذا الرضيع قيداً له إذا تعلق به فأراد أن يتحلل من هذا القيد قبل أن يتمكن فيه. ودع

ابنه (راهولا) وزوجته (ياسودارا) /16/ المستغرقَيْن في نوم عميق وخرج من الغرفة بصمت مطبق وغادر القصر بصحبة (تشنا) والليل يرخي سدوله على شرفات المدينة. وإذا كان هذا المشهد قد هزنا واستنهض فينا عاطفة الأبوة والزوجية فإن (بوذا) قد أطلق على هذا الموقف اسم (التحرير العظيم) لأن البيت كان عالمه فصار العالم بيته. بحيث يكون كله أسرته الكبرى. وبينما هو في الطريق على ظهر حصانه (كانتاكا) تبدى له (مارا = الشيطان) وأغراه بملك عريض إذا رجع عما عزم عليه فأبى وأي ملك يَعِدُهُ به (مارا) وأقصى ما يتمناه كان رهن يمينه في قصر أبيه متى شاء وأنى أراد. حلق في الصباح شعر رأسه وخلع ثياب الملك وأعاد الحصان مع خصلة من شعره إلى أسرته مع (تشنا) وودع (بوذا) (تشنا) ثم لبس الرداء الأصفر وسار متجولاً في رحاب الهند كواحد من (البهخوس الشرمانيين = رجال الدين المتجولين) بدأ بممارسة اليوغا حيث كانت موجودة من قبل ذاك في بلاد الهند /17/.

واليوغا رياضة النفس تبدأ من الأكثر سطحية وتنتهي بالأكثر جوانية، وتبلغ ذروتها في (السامادي) حيث تصل إلى درجة الإدراك المطلق (سام = كمال) و(أدي = الوضع في المكان).

يقول: (زممت أسناني وضغطت لساني إلى لهاتي حتى زخني العرق من إبطي ثم أوقفت نفسي شهيقاً وزفيراً من فمي وأنفي محاولاً اصطناع غيبوبة لا شعورية حتى سمعت الهواء يخرج من أذني وأحسست أن رياحاً عاتية ترج رأسي)

ـ صار يقضي الساعات الطوال حافياً فوق الشوك حتى تدمى قدماه[1].

ـ ينام بين جثث الموتى العفنة متأملاً رهبة الموت الذي يفضي بك إلى المجهول وليس ثمة مستقبل منظور بل مستقبل عصي على المُدْرَك والمتخيَّل والمتذهَّن (فسقراط) يقول: الموت لا يخيف وإنما الذي يخيف هو الفكرة المأخوذة عن الموت. وعموماً فإن التفكير في الموت تحليلاً وتعليلاً فلسفة بحد ذاتها، و(شوبنهور) يقول: إن الموت هو المنبر الرئيسي للفلسفة وما الفلسفة سوى تأمل في الموت، كما يقول (أفلاطون) . إذ ليس هناك أبعد من جثة ميت رغم قربها، ولا أبلغ منها رغم صمتها،

---

(1) يقال: عن خمسة زهاد قد آمنوا بدعوته ثم هجروه بعد أن اقلع عن تقشفه الشديد.

ولا أوضح منها رغم غموضها، ولا أعتى من صراخها رغم سكونها وهدوئها، ولا شيء يخيف أكثر منها رغم وداعتها وأنسها، حيث تقول الجثة الهامدة بفمها ما لم يَقُلْه حكماء الأرض وكتب العالم.

ولعل الخوف من الموت هو بشكل أو بآخر خوف على المتوفى فينا مستقبلاً[1] [لخ].

فاخضع جسمه لعقوبة قلما يحتملها جسد بشري إذ كان يكتفي في أكثر الأحيان بحبة أرز واحدة طيلة اليوم حتى غدا هزيلاً نحيلاً عليلاً يمكنه عد أضلاع جسده بأصابع يده ويخيل إلى كل من يراه بأنه هيكل عظمي متحرك. بقي على هذه الحال المضنية (ست سنوات) حتى كاد يدفع حياته ثمناً لعذاباته ومكابداته لولا أن رأته إحدى القرويات وقدمت له كوباً من الحليب وما أن أحس بدبيب الحياة يسرى في جسده حتى قرر الإقلاع عن هذه العذابات التي لا طائل منها سوى إنهاك الجسد مدركاً أن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم.

صحوة بوذا

جلس تحت شجرة (بو **BO**) = شجرة التين[2] [بر] الوارفة الظل جلسة مستقيمة لا حراك بها وصمم أن لا يبرح مكانه حتى يأتيه التنوير، ولن يذوق طعم السعادة حتى يرى حلاً لمعضلة الوجود أو لمعضلة وجوده على الأقل. فراح يتأمل بنظرٍ فَحِيص كل ما يحيط به يعمل مفكراً عاملاً بحثاً عن الإجابات السليمة لتحقيق مبتغاة إذ لا قيمة لقيمة لا تتحقق. أراد كشف السر عن طريق المحسوس والملموس والمرئي لا عن طريق حدس عرفاني صوفي أو غنوصي ميتافيزيقي. والبحث الدؤوب عن الإجابات بداية كل عظيم. بدأ يدرك أنه لا الغرق في قاع الملذات ولا التقشف حتى هلاك الذات كفيل بأن يوصله إلى ما يريد إذ لا إفراط ولا تفريط.

---

(1) يقول شيلي: إن الآخرين لا يتعاطون مع موت الآخرين إلا لأنهم يرون فيه موتهم.

(2) يقال: إن أمه وضعته تحت شجرة التين ولقد عظمها البوذيون إلى درجة التقديس. والتين رمز لبوذا ورمز للسيد المسيح وهو مقدس في الإسلام (و التين والزيتون.....) قرآن كريم.

وكان يعتقد بأن الألم أرجح كفاً من اللذة ولذا.. فخير للإنسان أن لا يولد لأن ما سفحه الناس من دموع عبر حياتهم لأغزر مما تحويه المحيطات الأربعة من مياه /18/ فوصل إلى الطريق (الوسط = الماجا) وظل في حالته السكونية هذه مع شدة في التركيز. (وكما يقال: لو تصور المرء شيئاً لوجده) فأشرقت عليه صورة الموت والولادة حيث يتعاقبان على مجرى الحياة تعاقباً لا ينتهي، فأدرك أن كل غبطة يقابلها خيبة أمل وأن كل موت يزول أثره بولادة جديدة فقال: (رأيت الكائنات الحية تمضي ثم تعود فتولد، دنية أو سنية، خيرة أو شريرة، سعيدة أو شقية!!. حسب ما يكون لها من (كارما = المصير والفعل) وفق ذلك القانون الشامل الذي بمقتضاه سيلقى كل فعل خير ثوابه وكل فعل شرير عقابه في هذه الحياة أو في حياه تالية تتقمص فيها الروح جسداً آخر[لخ] وتعاقب الموت والولادة هذا جعله يزدري الحياة فقال: إن الولادة أم الشرور جميعاً ومع ذلك فالولادة ماضية في طريقها إلى الأبد ولا تقف عند حد. فسأل نفسه السؤال الاستنكاري التالي: لماذا لا تقف هذه الولادة؟ أجاب نفسه: (لأن قانون كارما = المصير) يتطلب حالات جديدة من التقمص للروح كي يتاح لها أن تُكَفِّر عما اقترفت من شرور في حيواتها الماضيات وذلك حين يطهّر نفسه من شهواته الذاتية تطهيراً كاملاً.

وإذا كانت العمارة الديكارتية تقول: أنا أفكر .. إذا أنا موجود. وهي (الكوجيتو) الأساس. والعمارة البيرانية تقول: أنا أريد .. إذا أنا موجود. والعمارة السارترية تقول: أنا موجود.. إذا أنا أفكر. فإن عمارة (بوذا) مثيلة لعمارة ديكارت مع سبق زمني كبير لها.

أدرك (بوذا) أن مصيره إلى فناء فعرف الموت بأنه نهاية مؤقتة لظاهرة مؤقتة /19/ ولذا فما عليه إلا أن يحرر نفسه من التعلق بالمتاع الزائل الفاني فنظر إلى المعاناة والألم (شخصها ـ عرف سببها ـ حاول وقفها ـ ثم حاول منعها) ضمن حقائق أربع:

---

(1) سَبْقُ (أفلاطون) في نظرية التقمص.

ـ الدوخا[لخ] فالولادة والانحلال والمرض والشيخوخة والتعلق بالوجود بما هو موجود وكل ما يمقت الإنسان يسبب الألم. إذ عندما تعتري هذه الأمور النفوس تحيل حياة المرء شقاء وسعادته بؤساً. ثم طلب من تلاميذه أن ينظروا ويتفكروا ـ مثلما كان يفعل ـ في جثة ميتة عفنة نتنه مسودة منحلة متفسخة منتفخة في مقبرة ويقارنوها بأجسادهم ليدركوا أن طبيعة أبدانهم كطبيعة هذه الجثة وأن مآل أجسادهم كمآلها ومنتهاها ـ (ساموداياً = سبب الألم). إذ ينبع الألم من الرغبة الملحة في السعي وراء الشهوات والملذات والتعلق بالوجود تعلقاً مستميتاً.

ـ النيروذا ـ كف الرغبة لإيقاف ما تحدثه (الدوخا) من آلام وبذلك تصل إلى النيرفانا، فمعناها القريب: هو الانطفاء والعدم، ومعناها البعيد أُجْمِلُهُ اختصاراً فيما يلي: ليس هناك ألم كألم البدن وليس هناك سعادة أسمى من سعادة الراحة والسكون وإذا عرف المرء ذلك حق المعرفة بلغ (النيرفانا) ووصل إلى السعادة العليا حيث لا مكابدة ولا ألم. و(النيرفانا) تعنى أيضاً فناء المرء فناء كاملاً بحيث تخمد نار شهواته كلها فلا تبقى لديه عاطفة تشتهي. وإطفاء النار لا يعني زوالها وإنما العودة إلى حالة كمون بالقوة حيث يعدم المرء نفسه إعداماً خلقياً بحيث ينعدم شعوره بذاته ويحقق الذوبان الذاتي التام لـ (أتمان) في الموضوعي (براهمان) حيث يدرك الفردوس الأرضي كونه غداً مباركاً وأدرك الخلود واستطاع أن يحرر نفسه من العودة إلى الحياة مرة أخرى فقال: (طهروا ضمائركم فتخلصوا من التناسخ ولن تولدوا من بعد أبدأ /20/.

ـ الألم لن يزول إلا بالتخلي عن الرغبات واقتلاع نار الشهوات من جذورها من النفس الإنسانية ومنع هذا الألم يطبق عبر ثماني مراحل. (الإيمان الحق / القرار الحق / الكلام الحق/ السلوك الحق / العمل الحق / الجهد الحق / التركيز

---

(1) ولعل قصة المرأة التي بكت ولدها يوم وفاته وذهبت إلى (بوذا) وسألته إن كانت له عودة إلى الحياة فقال لها: إذا جئتني بحبة خردل من بيت لم يمت فيه والدان أو طفل أو أقارب أو خادم فسأرد لك حياة ولدك. وعندما لم تجد ما طلبه منها وأدركت أنه لن يعود فعرفها على الطريق الصحيح من خلال وصاياه الخمس. انظر كتاب قصة الديانات. سليمان مظهر ص/134 - 135/.

الحق/ التأمل الحق)[لخ].

موقف بوذا من اللاهوت: كان بوذا يكره التضحية للآلهة ويكره رؤية الحيوان مذبوحا. حيث يخطى البشر ثم يكفرون عن خطاياهم بذبح غيرهم من دون أن يصلحوا أنفسهم. وكان يحس بأنه ليس صاحب رسالة لا هوتية ولا منشىء دين جديد.

فلم يدع الوحي قط ولم ينسب إلى نفسه النبوة أو أنه تكلم على لسان إله. لكنه زعم لنفسه التأمل والاستنارة. وكان يصرف تلاميذه عن السؤال عما وراء الطبيعة.

وكما صرف (كونفوشيوس) تلاميذه عن مثل هذه الأسئلة إذ لما سأل (كونفوشيوس) أحد تلاميذه عن الموت أجابه: يابني أنت لا تعرف شيئا عن الحياة فكيف تعرف أسرارالموت؟ فالقدسية والرضي في نظره لا يكونان في معرفة الكون والله، وإنما في العيش الذي ينكر فيه المرء ذاته /21/ كما كان لا يدخل في أي نقاش ما ورائي سواء ما يتعلق بالآلهة أو الأبدية ويسخر من الذين يوجهون دعواتهم إلى مجهول يقول: (من الحمق أن تظن أن سواك يستطيع أن يكون سببا في سعادتك أو شقائك لأن السعادة والشقاء نتيجة لسلوكنا وأفعالنا نحن). كما كان يتهكم على الآلهة ويقول: (إن الآلهة أنفسهم لو كان لهم وجود لما كان بوسعهم أن يحلوا المسائل الميتافيزيقية العويصة)[بر]. والحوار التالي يدل صراحة على موقفه من

---

(1) ومنهم من يقول (الإيمان الحق / القرار الحق / الكلام الحق / السلوك الحق / العمل الحق / الجهد الحق / التركيز الحق / التأمل الحق) ومنهم من يقول (الإدراك السليم / التفكير السليم / الكلام السليم / العيش السليم / السلوك السليم) انظر كتاب قصة الديانات. سليمان مظهر ص/126/ وكتاب البوذية ص/68/ الملاحظة السليمة)(التركيز السليم) انظر كتاب عالم الأديان بين الأسطورة والحنيفة. فوزي محمد حميد. ص/195/ وكانت هذه الديانة تزود أتباعها بالطريق المستقيم وأهم مبادئها أربعة (الكارما) مصير المرء لا تمحوه خطئية أو ندم (الدارما) واجب الفرد نحو الطبيعية التي ينتمي إليها الجندي مثلا... يخلص في الحرب ويحمي وطنه) (المايا) العالم وهم زائل وكل ما فيه إلى فناء (الموكشا) تحرير المرء من جميع القيود وهو المثل الأعلى.

(2) كان يعلم تلاميذه شفاها كسقراط الذي تلاه زمناً وكان يعلمهم عن طريق المحاورة والمحاضرة في عبارات سهلة يفهمها سائر الناس.

اللاهوت يقول (وحدث يا /كفاذا/ أن طاف الشك بأحدهم ذات يوم في المسائل التالية): أين تمضي العناصر الأربعة (الماء، والهواء، والتراب، والنار)[1] بحيث لا تترك أثراً؟ فقدح الرجل زناد عقله حتى أخذته حالة من الوجد أتضح معها السبيل المؤدية إلى الله. فصعد إلى مملكة (الملوك الأربعة الكبار) وخاطب آلهتم قائلاً: أين تمضي هذه العناصر الأربعة؟.

أجابوا: لا ندري.. لكن هناك الملوك الآربعة الكبار (أي غيرهم) فهم أقوى منا وأعظم. سلهم يجيبوك. فذهب إليهم وسأل السؤال نفسه فأجابوه كما أجابه الأربعة السابقون وأقروا بعدم معرفتهم، فذهب إليهم وسألهم السؤال نفسه فأجابوه كما أجابه الأربعة السابقون وأقروا أيضا بعدم المعرفة. ثم أحالوه إلى آخر والآخر أحاله إلى آخر حتى بلغ عدد من أحالوه كل إلى آخر حوالي تسعة آلهة حتى وصل إلى (العالم البرهمي) فدنا من الآلهة التي تتألف منها حاشية براهما وسأل أين تذهب العناصر الأربعة أجابت حاشية براهما لا ندري ولكن هناك براهما العظيم الواحد العلي القوي القدير البصير من بيده الأمر والتدبير السابق للزمان الوالد لكل ما هو كائن وما سيكون سله يجبك. فسألهم: وأين هو؟ قالوا: لا ندري أين يكون ولا لماذا كان ولا من أين جاء.

لكن بادره ظهور براهما هو إشراقة الضوء ثم تبدّى براهما العظيم فدنا منه الرجل وسأله: أين تمضي هذه العناصر الأربعة الكبرى أجاب (براهما العظيم): أنا العلي القدير البصير. بيدي الأمر والتدبير ضابط وسيد وخالق كل شيء، السابق للزمان والد ما هو كائن وما سيكون. أجاب السائل: أنا لم أسالك عن صفاتك. أنا أسالك أين تمضي العناصر الأربعة؟ أجاب (براهما): الجواب السابق بحرفيته، ثم أعاد الرجل السؤال مرة أخرى طالباً من (براهما) تحديد الإجابة التي تتعلق بالسؤال عن مصير العناصر الأربعة فما كان من (براهما العظيم) إلا أن نحّاه جانباً وقال له:

إن هذه الحاشية التي تتألف منها حاشية (براهما) تعتقد أني أرى وأعلم وأتبين

---

(1) وكان الصينيون يضيفون إلى هذه العناصر الأربعة (الخشب) وقد أخذ اليونان هذه العناصر الأربعة فقط.

كل شيء ولهذا لم أجبك بحضرتهم لكنني أيها الأخ أنا لا أعرف أين تذهب هذه العناصر الأربعة...!!! /22/(لخ). ولقد صاغ تلاميذه قواعد خلقية خمساً بمثابة الوصايا.

وصايا بوذا[2] وصايا الجانيتة مهافيرا وصايا يسوع في الإنجيل

لا تقتل: لا تقتل كائناً حياً	**لا تقتل**	**لا تقتل**
لا تسرق: لا تأخذ ما لم تُعْطِه	**لا تسرق**	**لا تسرق**
لا تكذب: لا تقولن كذباً	**لا تكذب**	**لا تشهد الزور**
لا تسكر: لا تشرب مسكراً	**تخل عن كل ارتباط**	**أكرم أباك وأمك /23/**
لا تزن: كن طاهراً	**لا تزن**	**لا تزن**

ونجد أيضاً في التوراة / سفر الخروج مثل هذه الوصايا لا تقتل ـ لا تزن ـ لا تسرق ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور ـ لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده وأمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك /24/ هذا التشابه لوحده بحاجة إلى محاضرة كاملة.

موقفه من المرأة

سأله تلميذه (أنا ندا): يا مولاي.. كيف ينبغي لنا أن نسلك إزاء النساء؟

أجاب (بوذا): كما لو لم تكن رأيتهن يا (أنا ندا).

- و لو تحتمت علينا رؤيتهن؟
- لا تتحدث إليهن.
- و إذا تحدثت إليهن؟

---

(1) وأسماء الآلهة كالتالي: (ساكا / ياما / سوياما / توسيتا / سانتوستيا / نمانا ـ رتي / سوني ميتا / يارانيميتا فاسافاتي).

(2) وهناك وصايا عشرة. (لا تقتل / لا تسرق / لا تزن / لا تكذب / لا تسكر / كل باعتدال ولا تأكل بعد الظهر / لا تحضر حفلات اللهو من رقص وغناء وتمثيل / لا تتزين وتتعطر / لا تقتن فراشاً وثيراً / لا تأخذ ذهباً ولا فضة).

obeikandl.com

- كن على حذر منهن يا أناندا.

وقد استدعته ذات يوم (مها ـ برجباتي) بعد أن اعتنقت أفكاره وقالت له: منذ آمنت بك وجدت الطمأنينة وأني أرجوك أن تدخل في طائفتك جميع النساء ليجدن السلام. فلم يقبل رغبتها رغم إلحاحها وإلحاح تلميذه المدلل (أناندا). فقد رغب أن تبقي المرأة في بيتها من دون أن تحيا حياة (البهخو = الراهب) إذ يمكنها الحصول على الخلاص ما دامت تتبع وصايا قلبها. وبعد إلحاح جِدٍّ شديد قَبِل أخيرا أن يكون هناك راهبات بوذيات /25/.

ثم أعلن أنه بقبوله للنساء فإن الشريعة التي كان مقدراً لها أن تدوم ألف سنة فلن تدوم سوى خمسمئة سنة /26/ وموقفه هذا ـ كما أرى ـ لم ينبع من فراغ ولا من عدم بل من بيئته ومن مرجعيته الثقافية التي أطلع عليها. ففي كتاب (منوسمرتي) نجد أن القوامة في البيت للرجال لا للنساء.

يقول الكتاب في ص/310/ (إن المرأة يجب أن تكون في صغرها تابعة لأبيها وفي صباها لزوجها.. فلابنها.. ولا تكون المرأة مطلقة الحرية قط)[لخ]

الدخول في البوذية: لا يتم بغير استئذان الوالدين لأن موافقتهما شرط أساسي للدخول في البوذية. ولقد انضم إلى دعوته ابنه (راهولا) وكانت أمه (ياسودارا) تأمل أن ترى ابنها ملكاً إلا أن الشعب بعد انضمام (راهولا) لأبيه (بوذا) نصبوا بدله (أناندا)

---

(1) وفي كتاب (منوسمرتي) فصل كامل عن المرأة. يقول الكتاب في ص /90/ الأم أعظم من الأب بألف مرة. كما نجد منعاً للأقارب عن الزواج من الأقارب. وفي ذلك سبق لعمر بن الخطاب (ر) عندما رأى أناساً ضعاف الأجساد من قريش فسألهم ما بكم ؟.. قالوا: قرب آبائنا من أمهاتنا. قال: اغتربوا لا تضووا.. تزوجوا من الأباعد فأنجبوا. كما نجد سبقاً لأفلاطون أيضاً عندما طالب بعدم الزواج من الأقارب. يقول الكتاب (إن خير زوجة هي التي ليست من قربيات الأم ولا من أسرة الأب) ص/122/ كما تحدث الكتاب عن أن جماع الزوجة في الأيام المزدوجة يولد الذكور وأن جماعها في الأيام المفردة يولد الإناث ص/133/ ونجد أيضاً (ويستطيع النساء لا استهواء الجهلاء من الرجال فحسب بل والعلماء منهم وجعلهم عبيد الهوى ص /107/ ويقول أيضاً (إذا كانت الزوجة جميلة كلها تضيء وتزدهر وإذ لم تكن جميلة فكل ما في الدار يرى قاتماً) ص/137/.

ولياً للعهد إلا أن هذا الآخير قد زهد أيضاً وأنضم إلى (بوذا) ولما سمع (سودهدانا) والد بوذا بذلك حزن حزناً شديداً والتمس من بوذا كرامة أن لا يدع اليافعين الأشراف (ع) ينضمون إلى طائفته بغير استئذان والديهم فوافق على ذلك /27/.

خطأ فلسفة بوذا: لقد اقترح (بوذا) لاهوتاً بغير إله، ورفض الروحانية بشتى صورها لأن الروح في نظره أسطورة من الأساطير. لقد أقر (بوذا) بأنه ليس بخالد بعد موته خلوداً يحفظ شخصيته. وإذا كان ذلك فكيف يمكن أن يعود إلى الحياة من جديد في ولادة ثانية إذا لم يكن هنالك روح؟ ما الذي يتقمص أجساداً أخرى في ولادة تالية؟ ليلقى عذابه على خطاياه إذ هو في حال صورة الجسد. تلك هي أضعف الجوانب في فلسفة (بوذا) /28/. هذه هي الأفكار التي هي أهم ما تميز مذهبه عن مذاهب الفلاسفة في الهند. ولهذا نظرت المذاهب الفلسفية الأخرى إلى آرائه على أنها (هرطقة) وقالوا: إننا إذا أنكرنا الروح فإن السعي الأخلاقي سيكون بلا قيمة. وإذا لم يكن هناك روح فلن يكون هناك من يستحق المدح أو الذم أو الثواب والعقاب. وإذا لم يجن الإنسان ثمار أعماله الصالحةأو الطالحة فما الذي يجعله يهتم بطريقة حياته.

وفاة بوذا

عهد (بوذا) قبل وفاته إلى أحد مريديه (كاسايا) ليسير شؤون البوذية من بعده. وعندما توفي أحرقت جثته وقسم رفاته إلى ثماني مجموعات. وكل جماعة أخذت قسماً وبنت فوقه ضريحاً مقدساً وأصبحت هذه الأضرحة بمثابة (ستوبات ـ أي مراكز للعبادة). وعلى الرغم من ازدراء (بوذا) المعجزات في حياته، فإن تلاميذه قد تقولوا عنه، ونسبوا إليه أشياء لو كان حيا لنسفها من جذورها فقد جعلوا منه معجزة. ومما قالوا عنه: إنه سار في حياته فوق ماء نهر (الكنج). كما سقطت من يده خشبة صغيرة كان يزيل بها ما يعلق في أسنانه من فضلات الطعام فنبتت مكانها شجرة كبيرة، وأن بموته اهتز العالم من أقصاه إلى أقصاه. هذا الرجل الذي لم يدْعُ في حياته إلى عبادة إله... قد جعل أتباعه منه نبياً... بل أوصلوه إلى مرتبة الآلهة فأصبحت البوذية من بعده بالغة التعقيد حيث انقسمت إلى قسمين:

ثرافاد ـ حافظت على تعاليمه من بعده واكتسبت لاحقاً اسم (هينايانا).

ماهايانا ـ تحررت من قيوده حتى أن أحد الرهبان قد قال فور ولادته: الآن بإمكاني فعل ما أريد. ثم انتشرت بفضل (أزوكا)/273/ ق. م واعتبر المؤسس الثاني لها ثم أتى(شانكار) واخذ على عاتقه القضاء على البوذية وإحياء الهندوسية من جديد فكان له ما أراد وانهارت آخر أعمدة البوذية بعد الفتح الإسلامي للهند /29/ على يد (القاسم بن محمد الثقفي)/30/.

بين الجانتية والبوذية

بين الجانيتة والبوذية من التوافق قدر ما بينهما من التضاد فـ (بوذا وماهافيرا) من طبقة الأشراف (الكشاتريا) ثارا على الأوضاع السائدة ورفضا (الفيدا) ونُبذَا من الهندوس وكلاهما من بلد واحد[1]. تزوجا وأنجب كل منهما ولدا ثم ترك عائلته وتَرهبَن واضعاً نصب عينيه الـ (أهمسا). وخلافهما يبتدىء في أن الجانتية تقبل في صفوفها الأطفال في سن الثامنة بدون أي شرط بينما البوذية تشترط موافقة الوالدين. والجانتية تحتقر الزراعة والبوذية تحترمها. يقول (بوذا): (طوبى لليد التي تزرع). كما أن الجانتية تؤمن بحياة تقشفية جد قاسية، بينما البوذية اتبعت طريق الوسط. لكن السؤال المحير هو: ما الذي جعل من (بوذا) شخصية تدخل نطاق العالمية من باب واسع بحيث سمعت به الأكثرية الساحقة حتى السوام منهم بينما لم يستطع (ماهافيرا) أن يحقق هذه الشهرة الأفقية الواسعة ولم يسمع به سوى المتخصصين والباحثين والمهتمين؟[2]

بعض من أقواله

- **(الحياة ألم. والألم نابع من الشهوة، والحكمة تمنع سائر الشهوات)**
- **(لا تنتظروا الخلاص من غيركم فخلاصكم كامن في أنفسكم)**

---

(1) من بلاد البنغال (بهار) وهي اسم قبيلة آرية غزت معظم الهند وصارت تطلق هذه الكلمة أحيانا على الهند (بهارات).

(2) ترى هل هذا عائد ل (أزوكا) الذي أحيا البوذية من جديد حيث أن السلطة السياسة تساعد كثيراً في انتشار ما تتبناه؟.

- **(ليكن كل منكم مصباحاً لذاته وملجأ تأوي إليه نفسه)**
- **(اعتصموا بالحق اعتصامكم بالمصباح في ليل داج)**
- **(إذا استبدلنا حب أنفسنا بحب الناس جميعاً فسننعم بما نحلم به من راحة وهدوء)**
- **(من زادني شراً زدته خيراً)**
- **(تغلبوا على أنفسكم بالشفقة، أزيلوا الشر بالخير فالكراهية لا تزول بكراهية مثلها)**
- **(اكسبوا الأنفس بالحب لا بالعنف، عيشوا بسلام آمنين، أحبوا بعضكم بعضاً، ليخيم الحب في قلوبكم والطمأنينة في أعماقكم ولن تدخلوا نعيم النيرفانا بغيرالحب الإنساني)**

خاتمة

لقد كان (بوذا) رجلاً وسطاً بين السماء والأرض، بين اللين والشدة، بين المتعة والتقشف، جمع المتناقضات وأحسن الاستعمال. غذ الخطا حثيثاً ليخلص مجتمعه من جموده العقائدي آنذاك، محاولاً إلغاء الفوارق الطبقية أيضاً. ولو ركز على هذه الناحية تركيزه على إلغاء فكرة الآلهة من الأذهان، لكان من أوائل الاشتراكيين في العالم ولكان له شأن عز نظيره في التاريخ.

لقد حاول أن يسمو بالكائن الإنساني (ذي الفتحات التسع) اللصيق بالأرض، حاول أن يسمو به نحو الملأ الأعلى ليرسم بقدراته الذاتية، راهنة وآتية، ليجعل من المستقبل مستقبلاً(لخ). آمن بأن المظهر خَدَمٌ للجوهر ومن خلال الجوهر لا يحل اللاهوت في الناسوت فقط، بل به يستبدل اللاهوت بالناسوت كما رأى. حاول المعرفة.. والمعرفة فضيلة... والفضيلة يقظة دائمة. ولهذا ظل متيقظاً إلى أقصى درجات التيقظ. وما اليقظة إلا جوهر الله التي بها نرى.. وبها نستضيء.

---

(1) المستقَبَل: هو ما يأتيك من رحم الآتي وما هو مخبأ لك من مبدأ الجبرية والقدرية.
والمستقبِل: هو ما تصنعه أنت لأن الآتي كثيراً ما يضع مفاتحه في يد الراهن.

obeikandi.com

المصادر والمراجع

1 ـ الهند. تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها. محمد مرسي أبو الليل. دار الاتحاد العربي للطباعة. القاهرة ص /7/.

2 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /11ـ12/.

3ـ التصوف البوذي والتحليل النفسي (د. ت. سوزوكي) ترجمة ثائر ديب ط /1/1996/ دار الحوار ص /10/.

4 ـ الهند. تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها. محمد مرسي أبو الليل. ص /75/.

5 ـ ترميز العقل الأول. فيصل مفلح. ج/1/ ص /21/.

6 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /9/.

7 ـ المصدر نفسه ج /3/ ص /33ـ34/.

8 ـ المصدر نفسه ج /3/ ص /34/.

9 ـ المصدر نفسه ج /3/ ص /52ـ56ـ57/.

10 ـ الهند. تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها. /37ـ38/ وكتاب مقارنة الأديان . د. أحمد شبلي ص /57ـ58ـ59ـ60/.

11 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /28/.

12 ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب. جيفري بارندر ص /216/ عالم المعرفة الكوتيية عدد /173/.

13ـ تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ميرسيا إيلياد. ص /79/ ج /2/ ط /1/ دار دمشق مطابع الشام /1986ـ1987/.

14 ـ الحكماء الثلاثة. أحمد الشنتاوي ص /66ـ67ـ68ـ69/.

15 ـ المصدر نفسه ص /73ـ74ـ75/.

16ـ يقال إنه تزوج اثنتين (غوبا + ياسودار) ويقال اسمها (يازوهار). تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية

17 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /169/ ترجمة د. زكي نجيب محمود التأليف والترجمة والنشر ط /1/.

18 ـ المصدر نفسه ص /76/.

19ـ عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة.فوزي محمد حميد. دار حطين بدمشق ص /197/

20 ـ البوذية. محمد علي الزعبي. علي زيعور. ص /46/.

21 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /87/.

22ـ المصدر نفسه ج/3/ ص /79ـ80ـ81/.

23ـ إنجيل متى إصحاح /19/ فقرة /18ـ19/ وإنجيل مرقس إصحاح /10/ فقرة /19/.

24 ـ التوراة إصحاح /20/ من فقرة /13/ حتى /17/ دار الكتب المقدس في الشرق الأوسط.

25 ـ البوذية. محمد علي الزعبي. علي زيعور. ص /60/.

26 ـ تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ميرسيا إيلياد. ص /84/.

27 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /87/.

28ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. ج /3/ ص /82ـ83/.

29 ـ الهند. تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ص /73/.

30 ـ من كتاب المعارف لأبن قتيبة الدينوري ج /2/ ص /519/ وزارة الثقافة المختار من التراث العربي ص /83/.

بعض المراجع

ـ الأديان في تاريخ شعوب العالم. سيرغي. أ. توكاريف . ت.د. أحمد م فاضل الأهالي فصل /15/.

ـ منوسمرتي. كتاب الهندوس المقدس. تعريب وشرح وتعليق. إحسان حقي، دار اليقظة العربية.

ـ قصة الديانات. سليمان مظهر. القاهرة. مكتبة مدبولي ط /2/ /1418ـ1998/

ـ الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم. أ. إ جيمس. ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر. حمص.

ـ صور ورموز. ميرسيا أيلياد د. ت. حسيب كاسوحة. وزارة الثقافة /1998/ دراسات فكرية /36/.

ـ الأديان الحية. نشوءها وتطورها. أديب صعب. دار النهار للنشر /1993/

ـ الموت في الديانات الشرقية. حسين العودات. الأهالي ج /2/ /1992/

ـ مقارنة الأديان ج /4/ أديان الهند الكبرى د. أحمد شبلي ط /3/ 1972/ مكتبة النهضة المصرية

obeikandl.com

ـ الباجافارجينا الكتاب الهندوسي المقدس، ترجمة د. وعد عبد الجليل جواد ط /1/ /1993/ دار الحوار.

ـ التصوف البوذي والتحليل النفسي د. ت. سوزوكي، ترجمة ثائر ديب /1993/ دار الحوار

ـ البوذية. محمد علي الزعبي. علي زيعور.طبع ونشر وتوزيع. مطبعة الإنصاف لبنان /1964/

ـ الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها؟ محمد مرسي أبو الليل. دار الاتحاد العربي للطباعة /1965/

ـ الإسلام في الأسر. الصادق النيهوم. رياض الريس للكتب والنشر. لندن. قبرص ط/3/1995/

ـ الفكر الشرقي القديم: جون كوكر.. عالم المعرفة عدد /199/

ـ ثقافة الهند مجلد /38/ العدد3+4 الديانة الفيدية والإسلام دراسة مقارنة. أخلاق حسين الدهلوي / ص 90حتى 98/

ـ ثقافة الهند مجلد /41/ العدد/1/ فلسفة المهابهارتا. محمد عبد السلام خان ص /45/ وحتى /97/

ـ تقديم الهند ج. ن. س. (راغهافان)، تعريب عبد الحق شجاعت علي / المجلس الهندي للعلاقات الثقافية. آزاد بهاون، التفاعل الهندوسي (الجيني) البوذي ص /27/ وحتى /48/

obeikandl.com